القيّم الوطنية والإنسانية عند الدكتور محمد بن أبي شنب.

د. الصادق دهاش*

مقدمة: تتناول هذه الورقة بعض القيّم الوطنية والأخلاقية والإنسانية التي طبعت بها شخصية الدكتور محمد بن أبي شنب؛ فهي جوانب مهمة لا نقول انفرد بها محمد بن أبي شنب لوحده، بل توفرت هذه الصفات الحميدة من مواطن جزائري لم يدر ظهره لوطنه الجزائر ولشعبه المجاهد ولأمته الإسلامية، لقد عاش لوطنه الصغير والكبير، بل للبشرية جمعاء، وهذه خصلة لا نجدها إلا عند المفكريين والمثقفين المسلمين الحقيقيين أمثال ابن شنب والشيخ عد الحميد بن باديس الذي كان يردد دوما مقولة "أعيش للإسلام والجزائر"، وهذا يفند ربما أولائك الكتاب الذين يكونوا قد ظلموا الشخص عندما قالوا عنه بأنه رجلا استشراقيا وفركوفونيا، وأنه خذل وطنه في وقت كان يتطلب منه أن يكون معارضا شرسا للمشروع الإستعماري الفرنسي الإستيطاني.

فهناك جوانب كثيرة ومضيئة يجهلها الإنسان الجزائري عن إنسانية محمد بن أبي شنب، فهذه الإنسية يكون بن شنبقد إكتسبها من خلال تربيته ونشأته في بيئة عربية مسلمة، ونالها كذلك من خلال نوع الثقافة التي تزود بها بن شنب عن طريق المطالعة الواسعة والدراسة الواعية الناقدة، والبحث العلمي الأكاديمي والتكوين الإيجابي الرفيع الذي حققه ابن شنب عن طريق الثقافة المزدوجة العربية والغربية اللتان رفعتا من شأنه وجعلته رجلا عظيما بين أقرانه .

ولا أدعي أنني استوفيت الموضوع حقه، ولكن هي بداية استفزاز لباحثين آخرين تكون لهم القدرة العلمية لفتح هذا الباب ومعالجته بطريقة أكثر عمقا في إطار دراسة شاملة لشخصية محمد بن أبي شنب، لأن المثقفين لهم علينا أمانة عظيمة في أن نهتم بتراثهم وأفكارهم لكي نعي جيدا التضحيات الجسام التي بذلوها من أجل أن تحيا الجزائر عربية مسلمة ومستقلة.

ولمعالجة هذا الموضوع قمنا بطرح الإشكالية التالية: ما مدى وطنية وإنسانية محمد بن أبي شنب وانعكاساتها على حاضر ومستقبل الجزائر؟.

*أستاذ محاضر في التاريخ الحديث والمعاصر- كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية- جامعة علي لونيسي- البليدة2.

وللإجابة على هذا الإشكال الموضوعي عرجنا ولو بالمختصر المفيد على التنقيب في مناقب شخصية محمد بن أبي شنب من حيث معرفة درجة أخلاقه وتدينه، ومدى حقيقة وطنيته، وأخيرا أردنا معرفة البعد الإنساني عند الدكتور محمد بن أبي شنب ومدى تأثيره على محيطه الجزائري والمغاربي والعربي والإنساني.

1- أخلاق ولباس محمد بن أبي شنب: كان محمد بن أبي شنب خلوقا وخدوما لا يرد ملهوفا، فكان مرة يمشي مع الزاهري في إحدى شوارع عاصمة الجزائر، إذ نادى رجل محمد بن أبي شنب، يبدو أنه كان يرغب إلى الأدباء بأن ينظموا له منظومات، يرفعها إلى الأغنياء والأعيان، هذا التصرف استثقله الزاهري، وأبى أن يلبي نداءه، ولكن الشيخ محمد بن أبي شنب استجاب له، فقدم له كراس وقلم فيه منظومات وقصائد، وطلب إليه أن يصلحها ويقيم أوزانها، مما زاد من غيض الزاهري واستيائه، ولكن محمد بن أبي شنب أنكب على تلك المنظومات يصلحها ويقيم أوزانها، ولبث في ذلك ساعة كاملة ما سئم في أثنائها ولا تحرج، بل كان فيما يعلم الرجل يجتهد نفسه في تفهيمه، وكان محمد بن أبي شنب يخالق الرجل بخلق حسن ويتواضع له، ولا يتظاهر عليه بعلم ولا بفهم، وهكذا كان محمد بن أبي شنب يستوقفه الصغير أو الوضيع فيقف له، ولا ينصرف حتى يتصرف السائل[1].

وكان محمد بن أبي شنب إذا أنت حدثته في مسألة من مسائل العلم حدثك فيها بما يعلم حديثا متواضعا "لا يتعالم فيه ولا يتعالى"[2]، وكان الزاهري قد تمنى أن يكون محمد بن أبي ابن شنب نموذجا حيا يحتذى به الشباب الجزائري المتفرنج، لقد كان ابن شنب أسوة حسنة لهؤلاء إن كانوا يريدون الخير لأنفسهم ولبلادهم[3].

وعدد الأستاذ محمد العاصمي المناقب التي يتصف بها محمد بن أبي شنب عند تأبينه في أفريل 1929، فذكر منها: بساطة مظهره التي قلما يجهلها أحد، علما بأنه لم يحد عن زيه قيد أنملة، وذلك أثر من آثار وطنيته، بل هي مقاومة معنوية للعوامل الهدامة التي تريد طمس الشخصية والقومية، فكان محمد بن أبي شنب يردد قائلا: "شعار كل وطن لباس أهله" وبهذا يكون محمد بن أبي شنب من المثقفين الجزائريين القلائل الذين بقوا محافظين على لباسهم الوطني العربي الإسلامي، مما يدلل على تشبعه بالروح الوطنية المتأصلة، لذلك كان يحلو له الظهور برسمه مع زملائه في مؤتمر المستشرقين سواء أكان في الجزائر (مؤتمر الجزائر 1905)، أو في خارج الجزائر (أكسفورد)، إلى درجة أن الأستاذ محمد العاصمي سأله يوما من باب الممازحة، أليس

اللائق يا أستاذ أن تظهر بهندام مدني؟، فجاءت إجابته الشافية والوافية على الفور "أنا مع ذلك عربي على كل حال، هل المظهر المدني المزعوم يرجني عن عروبتي"[4].

2- تدين محمد بن أبي شنب : أعتقد صادقا بأنه لا أحد يمكنه أن يشكك في عقيدة وتدين محمد بن أبي شنب، فكانت له مواقف كثيرة تدلل على صحة عقيدته الإسلامية وثباته على مواقفه ومبادئه الصلبة، فكان لسانه رطبا بذكر الله يستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والحكم والأمثال العربية الأصيلة، فكان كثيرا ما يستعمل عبارات ذات مدلول ديني في تحليلاته وأحاديثه كعبارة " الله أعلم " التي كررها محمد بن أبي شنب 22 مرة في خمسة صفحات فقط، بل ردد ذات العبارة خمس مرات كاملة، في صفحة واحدة فقط[5]. وهذا إن دل على شيء وإنما يدل على تواضع محمد بن أبي شنب الأخلاقي والأدبي والعلمي، فكان محمد بن أبي شنب يتصف بالأخلاق الحميدة العالية التي تشهد على سلوكه القويم ومرجعيته الدينية والفكرية والثقافية الثابتة، ومنطلقاته الحضارية العربية والإسلامية الأصيلة.

ومن أمثلة تصرفاته الدينية وقناعته الثقافية التي تدل على تمسك محمد بن أبي شنب بشخصيته وهويته العربية الإسلامية، خاصة عندما لفت انتباه كل من المعلمين والمتعلمين بأنه لا يقدم أي طرف منهما على عمل محو اللوحة "إلا بماء طاهر" [6].

وكان محمد بن أبي شنب يقف موقفا عدائيا ضد الخرافات والتقاليد البالية، فهو لا يقبل إلا ما هو ديني وعقلاني ومنطقي، فقال مثلا بجواز استعمال "الخرقة"[7]، لكنه من ناحية أخرى سجل حدوث خروقات وتجاوزات خطيرة تتمثل في بعض البدع والخرافات التي كانت تتم يوم الاحتفال بالخرقة، وبذلك لم يكن محمد ابن أبي شنب راضيا على هذه العادة المكتسبة، التي يتم فيها تزين القسم والمنزل بالحرير والصور، وتزويق اللوحة بالفضة والحرير، وقيام التلاميذ بالرقص في حضرة النساء، كل ذلك محرم ومنهي عنه في عرف كثير من المسلمين، وقد اعتبر محمد ابن أبي شنب بأن هذا العمل بدعة وأمر منهي عنه شرعا واستند في ذلك بأقوال السادة العلماء، كالإمام سيدي أبو القاسم بن علي بن حجّوالذي عاش في فترة أواخر العهد الوطاسي، والإمام سيدي عبد الله الهبضي، وابن رشد [8].

3- وطنية محمد بن أبي شنب: كان محمد بن أبي شنب مواطنا جزائريا شغوفا بحبه لوطنه الجزائر، مدافعا عنه بالغالي والنفيس، بالكلمة الطيبة وبتسليط الضوء على حواضره وكنوزه الثمينة، مدافعا عن حياضه، ومحافظا

على عاداته وتقاليده في المأكل والملبس، والأحوال الشخصية الأخرى رابطا بذلك جيل الخلف بجيل السلف للعمل على صون الجزائر من كل الإختلالات والإهتزازات التي قد تعصف بمستقبل الجزائر، وأرى بأنه ليس من مصلحة أحد مهما كان مركزه السياسي والاجتماعي أن يخدش في شخص محمد بن أبي شنب، أو يشكك في حقيقة صفاء وطنيته، لذلك فقد نوه العلامة الشيخ عبد الحميد ابن باديس بالجهاد العلمي لمحمد بن أبي شنب الذي وشّح به صدره من أجل نصرة الوطن الجزائري الجريح واعتبره شهيد العلم والوطنية الصادقة، وأن آثاره كلها جد واجتهاد وعمل لخير العلم عامة ولخير الإسلام والجزائر خاصة [9].

وكانت شهادة ابن باديس في حق محمد بن أبي شنب قد وردت في جريدة الشهاب بمناسبة صدور كتاب ذكرى الدكتور محمد بن أبي شنب الذي ألفه الشيخ عبد الرحمن الجيلالي الذي صدر بالجزائر سنة 1933.

ومن مظاهر وطنية محمد بن أبي شنب محافظته على لباسه التقليدي الذي يعد رمزا أساسيا من رموز الوطنية، وهذا دليل عملي ساطع على تعلق الرجل بجزائريته وقوميتهلذلك علّق الأستاذ محمد الصالح الصديق على هذه المسألة قائلا: " فالأستاذ محمد بن أبي شنب عندما يتزي بهذا الزي الذي كان يتزي به أبائه وأجداده، فإنه ينطوي على شعور واع بالترابط الحميم الخاص الذي كلفه بهم في كرامته وعزة وامتداد"[10]، ولم يكن محمد بن أبي شنب من بين الذين سلبتهم الحضارة الغربية وصاروا مقلدين وعبيدا لها، بل كان يقف الند للند في عزة وشموخ وإباء، فكان غيورا على الدين والوطن واللغة العربية معتزا بها ومدافعا عنها، ولم يكن مفتونا بالحضارة الغربية وفرنسا[11].

فكان محمد بن أبي شنب صارما في استغلال وقته، فلا يضيعه فيما لا يعني، فكان يدب كدبيب النمل في السعي والاسترزاق والنشاط والحيوية والصبر على الشدائد، فسعادته كانت في شقاوته وجده وكده "فكان لا يجد راحته إلا في البحث والدراسة والتأليف حتى في عطلته الصيفية بالمدية"[12].

وكان الشيخ محمد السعيد الزاهري (1899-1956) قد أفنى حياته في حب الجزائر كما يحب المحب الحقيقي الأحباب الأخيار، فهو الآخر شهد شهادة حق وعرفان وانصاف في جناب محمد بن أبي شنب، أقل ما يقال فيها أنه رجل من طينة الجزائريين الأفذاذ الأصلاء فكرا وثقافة وحضارة وجزأرة، جاء فيها " فهو مسلم جزائري، وجزائري سليم في كل شيء، في عقله وأدبه،

وفي أخلاقه وعاداته، وفي لباسه (فنراه من رأسه إلى مخصص رجليه جزائري)، وبالجملة فهو بقية سلف صالح، مضى في عاصمة الجزائر" [13].

وكان المرحوم محمد السعيد الزاهري قد أجرى مقارنة بين أول دكتورين جزائريين، أحدهما في الطب، وهو محمد ابن العربي (1850-1939)، والآخر في الأدب وهو محمد بن أبي شنب، فذكر أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بينهما، فكان كلاهما جزائريان مسلمان، ومؤمنان قويان الإيمان ولا يقبلان في دينهما مناقشة ولا جدالا، وأما ما يفرق بينهما، هو أن الأول كان أكثر تقشفا واشتغل بالبيئة الجزائرية زمنا طويلا، بينما انقطع محمد بن أبي شنب للعلم فخدمه [14].

4- ابن شنب والقيم العالمية: كانت السلطات الفرنسية في الجزائر تحاول أن تلمع وجهها أمام الرأي العام الجزائري والعالمي، وتحاول أن تنفي وتقيم الدليل بأن ما يشاع عن سياسة فرنسا في الجزائر بأنها تعسفية وإجحافية ظالمة لا أساس لها من الصحة، وتستدل بشخصيات جزائرية مثقفة كالدكتور محمد بن أبي شنب، هذا الرجل العظيم الذي تخرج من المدارس والمعاهد الفرنسية، بثقافة متنوعة المشارب والأفكار، هذه الثقافة التي تلقفها بفكر واع ومسؤول وعقل راجح وحصيف، كل هذه العوامل وغيرها هي التي جعلت فرنسا تنتدب محمد بن أبي شنب للمؤتمرات العلمية والامتحانات الرسمية داخل وخارج الجزائر.

فكان محمد بن أبي شنب ممجدا ومرحبا به في كل مجلة أو صحيفة أو ندوة أو في أي مؤتمرات تقيمها فرنسا في الجزائر أو خارجها، فكل هذه الوسائل كانت تقوم بالتنويه والتمجيد بكفاءة وشهرة الرجل التي كان يشرف بها فرنسا حسب اعتقاد السلطات الفرنسية، لكن في قرارة نفسه فهو يخدم العلم والمعرفة والبحث العلمي، وبهم يخدم الجزائر تاريخا وأدبا وحضارة واستشرافا.

فكان محمد بن أبي شنب شخصية وطنية لها وزنها العلمي والثقافي، فقد ترأس لجنة امتحانات طلبة البكالوريا ودبلوم الآداب في مدينة قسنطينة في شهر جوان من سنة 1925 وكذا ترأسه ولنفس الغرض للجنة الامتحانات في مدينتي وهران وتلمسان سنة 1926 ثم عودته لنفس المهمة إلى قسنطينة سنة 1927، وفي سنة 1928 انتدب محمد بن أبي شنب إلى المغرب (الرباط) لتمثيل الحكومتين الفرنسية والمغربية بمعهد المباحث العليا المغربية[15].

وكان محمد بن أبي شنب يتصف بقيم إنسانية عميقة وجذابة، والتي كانت مطبوعة بالنزاهة والأمانة، وقد تأثر بذلك كل من جالسه أو عاشره، فكان

شديد الاعتراف والإمتنان لمن يفهم مقاصده ويحترمها، فقد استهوت رقته ولطافته الشباب الذين أحاطوه بالرعاية والتعاطف والمودة، وكان يضم إلى الصفة العلمية وصفاء الضمير، طيبة النفس ورحابة الصدر[16].

وكان محمد بن أبي شنب يتواصل بعمق ووعي كبير مع المشرق ومع الغرب كرجل وساطة وحوار، وكان يقدم نفسه كأحسن صورة للرجل العربي المسلم الجزائري الذي يتعاطف مع الأخريين دون عقدة أو خوف[17]، ولذلك فأعتقد أن هذا البعد الإنساني هو الذي يجب أن يعمق ويوسع في دراسة آثار شخصية محمد أبي شنب وتأيرها الإيجابي على شباب الجزائر خاصة وشباب المسلمين عامة، وهذا ما أبرزه السيد هنري تيسي أسقف الجزائر الذي أدلى بتصريح له عندما ألقى محاضرة بدار الثقافة حسان الحسيني بالمدية، والتي ركز فيها عن الحياة الخصبة والثرية لمحمد بن أبي شنب ومدى تأثيره في محيطه الداخلي والخارجي إلى درجة أن وضع تحت تصرف الثانويين دارا تحمل اسمه، توجد بالقصبة [18].

وفي إطار سنة الجزائر بفرنسا نظمت مكتبة معهد العالم العربي (IMA)، ذكرى وفاة محمد بن أبي شنب، فقامت هذه المكتبة بتكوين ملف خاص بالمرحوم ابن شنب وسجلت فيه بيبليوغرافية خاصة به، تتحدث عن حياته ومؤلفاته، فقالت عنه بأنه هو رجل فكر وثقافة، وأعلن السيد ولد عروسي مدير هذه المكتبة، بأن كتاب محمد بن أبي شنب الخاص بالحكم والأمثال في بلاد المغرب العربي والذي وضعه في ثلاث مجلدات باللغتين العربية والفرنسية، قد أعيد طبعه بمناسبة هذه الذكرى[19]. في: محمد بن أبي شنب أن كتبه كلها أعيد طبعها من جديد لقيمتها العلمية والأدبية من رجل أفنى زهرة شبابه في خدمة العلم والمعرفة، من دون مقابل إلا محاربة ذاكرة النسيان، وإحياء الذاكرة الجماعية للجزائريين للصمود في وجه مخططات فرنسا الإستعمارية التي حاولت طمس هوية المجتمع الجزائري مستغلة في ذلك تفشي الجهل والأمية بين الجزائريين، معتقدة بذلك بأنه وأدت المشروع الوطني العربي الإسلامي في الجزائر وإلى الأبد.

وكان محمد بن أبي شنب محبوبا لدى عامة الجزائريين وخاصتهم، وكان له صدى قويا بين النخبة المثقفة الفرنسية، لذلك تحدث عنه الأستاذ ما ركينو مدير كلية الآداب في جامعة الجزائر وهو يؤبنه، قائلا : "كان ذو صفات تغرس له المحبة في الصدور، وهي كرم النفس، وميزة العقل، والعفة في الإفصاح عن العواطف، والاستقامة التامة، فإذا دنا منه الإنسان فإنه لا يكاد ينساه، فكانوا يذكرونه ذكرى الصداقة، وكان له ميل إلى المساعدة لا ينضب

معينه، أني أظن أنه من اليوم إلى سنين قليلة، سينهض عالم من فرنسا أو من الجزائر ويكتب تاريخ تآلف الفرنسيين والمسلمين في إفريقيا، فإن ابن شنب سيكون رمز هذا التآلف، وحينئذ يمكننا أن نقول أحسن مما قلته أنا اليوم، إذ من السهل يومئذ على رجال العلم مهما تباعدت أقطارهم أن يتآلفوا، ويتعاونوا، ويتحابوا [20]. وهكذا يكون محمد بن أبي شنب واحدا من المثقفين الجزائريين الذين عملوا على إيصال صوت المثقف الواعي والمدرك لأهمية الفكر والعلم والثقافة في التواصل الإجتماعي والثقافي والحضاري بين النخبة المثقفة التي تمد جسور المحبة والتسامح والتحاور، فكان يجب أن يعلو صوتهم صوت ضجيج رجالات السياسة الذين يزنزن الأمور بالحصول على المنافع والمصالح الأنية الظرفية التي قد يخلدها التاريخ.

وفي الحقيقة كانت أقوال وأفعال محمد بن أبي شنب تهز مقربيه وكل من تعامل معه، لما كان يتمتع به من علو الهمة، وسمو النفس، والعمل الدؤوب، وتدخلاته العلمية والأدبية في الملتقيات الوطنية والمحافل الدولية، فمثلا عندما أنهى محمد بن أبي شنب محاضرته في موضوع ابن خاتمة الأندلسي(ت 770هـ) التي ألقاها في المؤتمر السابع عشر للمستشرقين، المنعقد بأكسفورد سنة 1928، مما جعل أحد أعضاء المجلس الحاضرين ينبهر بغزارة علم محم بن أبي شنب وصرح قائلا: "لو أدركه العالم قليوم كورنادو الإيطالي المتوفى سنة 1576م، لجعل رسمه رمز كتابه الذي جمع فيه أثنى عشر عبقريا الذين حازوا على قصبات السبق في العلم والذكاء منذ ابتداء العلم إلى أواخر القرن السادس عشر[21].

وأما الشيخ عبد السلام ابن رزاق الذي كان أستاذا بالمدرسة الثعالبية فقد نوّه بالخصال الحميدة والدرجات العلمية التي أحرز عليها محمد بن أبي شنب والتي تخطت الحدود الوطنية لتصل إلى مرتبة العالمية، وجاءت هذه الشهادة وهو يؤبن المرحوم محمد بن أبي شنب يوم تم القيام بمراسيم الدفن قائلا: "إخواني لم تسع معارف ومعلومات أستاذنا المغفور له القطر الجزائري والوطن الفرنسي خاصة، بل تطايرت الحدود إلى العواصم العلمية من الممالك الأجنبية، وكفانا يربطانا ما كنا شاهدناه، تداول المكاتبة بين الأستاذ وأعظم علمائها وأجلّ مستشرقيها، ومما زاد الفقيد سمعة ورفعة شأنه، أن المعهد العلمي العربي الدمشقي طلب الإذن من الحكومة الفرنسية، أن تقيد الأستاذ في حملة المنخرطين في سلك مجمعه بل أقول بدون مبالغة ولا مغلاة، أنه برز لدى المستشرقين في عالم المطبوعات كتّاب وبزغت في الأفق المجلات العلمية، مقالة الأوقد أمد الشيخ ابن شنب مؤلفه أو صاحبها

بمعارفه وإرشاداته وترشيحه مندوبا عن الكلية الجزائرية للمؤتمر الإستشراقي في أكسفورد، إننا إن بكيناك اليوم فإنما نبكي تلك الحياة التي قضيتها بين المخابر والكتب بين الإفادة والاستفادة، بعيدا عن القيل والقال"[22].

ويواصل المؤبن لمحمد بن أبي شنب، الشيخ عبد السلام ابن رزاق كلامه، مستعرضا للمناقب الحميدة لمحمد بن أبي شنب، وقد أقرّ صراحة بصفاء ونقاء إسلامه، وشدة تمسكه بالدين الإسلامي الحنيف وشريعته السمحة، قائلا: "وقد كسب الأستاذ محبة غالبية الرجال المعتبرين واعترافهم بفضله، وكان فكره ساميا متميزا عن سائر الأفكار، من حيث رميه إلى أسمى ما ترمي إليه العقول الأخرى، ونحن نعترف له بتمسكه بالإسلام الخالص وتتبعه لسائر شعائره [23].

وهكذا فقد كسب محمد بن أبي شنب صفات العلم والعلمية والعالمية، وصار شخصية مأثرة في الفكر والأدب والحضارة، هذا ما وقفت عليه جريدة " لاغازيت فور أفريكان" في عددها رقم 29 الصادر بتاريخ 10 فيفري 1929، عندما صنفت محمد بن أبي شنب في خانة علماء الأمة قائلة: "يموت عالم واحد تموت أمة كاملة"[24].

وها هو الشيخ محمد العاصمي المفتي الحنفي بالجزائر العاصمة هو الآخر يعتز بشخصية محمد بن أبي شنب ومكانته العلمية التي حققها بين علماء عصره ولا سيما بين العلماء المستشرقين الذين بجلوه وقدّروه لإتقانه وتفانيه في عمله، فهو رقم صعب لا يمكن تجاوزه وتجاهله أبدا، هذه الأبعاد المتعددة والمتنوعة السالفة الذكر التي صبغت شخصيته هي التي توقف عندها الشيخ محمد العاصمي يوم تأبينه لمحمد بن أبي شنب، في شهر أفريل 1930، قائلا: "إن شهرته في العالم مما لا يختلف فيه إثنان، إذ لا يخلو كتاب مستشرق من ذكر الدكتور محمد ابن ابي شنب، حتى أني عثرت في بعض مطالعاتي أن دائرة المعارف الإنجليزية قد استنارت برأيه في بعض المسائل التاريخية"[25].

وأما محمد البشير الإبراهيمي(1889-1965) فقد أشار في أربعينية محمد بن أبي شنب عندما كان يؤبنه إلى خسارة جيل الجزائر للغاية التي يصون إليها، وينتظرها الوطن منهم وهي عبارة عن صفات حميدة إتصف بها محمد بن أبي شنب، وما أحوج شباب اليوم أن يتحلى بها وتتمثل في صفات نفسية وخلقية وفكرية وعملية ويلخصها البشير الإبراهيمي فيما يلي: " الانطباع بطابعه في الذوق، وفي الأخلاق، وفي أسلوب البحث، في طرز التفكير، في

الإعتماد على النفس، في الإنقطاع للعلم والإخلاص له، في الأدب النفسي، في الصبر على العمل وإن شق، في المحافظة على القومية الصحيحة، في إطراح خطوط الرجو نات في استخدام البصيرة، في كل شأن من شؤون الحياة في القصد" [26].

وهكذا فقد اعترف محمد البشير الإبراهيمي بأن محمد بن أبي شنب كان رجلا محافظا بمعنى الكلمة، وبأن محافظته كانت مهذبة بالمعنى المعقول، فكانت هذه المحافظة طوقا متينا للقومية العربية الإسلامية لا محنطة لها، فكانت أهم صفة تطرز شخصية محمد بن أبي شنب والتي يفتقدها شباب اليوم وهي: الإخلاص في العلم والعمل، والصبر عليهما أما اليوم فأصبحت المحاباة والنفاق والغش والمواربة والرياء، سيدة الموقف.

فكان أحسن ما يتزين به محمد بن أبي شنب هو إعتماده على نفسه ويظهر ذلك في جميع أطوار تعلمه وتعليمه، وكان عنوان همته وتعلمه وإتقانه لعدة لغات أجنبية، فصفة الاعتماد هي الرائدة إلى السعادة وهي أساس الحياة الإستقلالية.

وفي زاوية أخرى ينصف محمد البشير الإبراهيمي محمد بن أبي شنب فيقول عنه بأنه كان رجل مؤدب النفس، مهذب الطباع، وهذا الخلق أسس حسن العسرة وحسن أساس الجاذبية، وما أحوج ناشئتنا إلى هذا الخلق القويم[27].

وبين هذا وذاك كان محمد بن أبي شنب يحب التاريخ ويعمل على نشره والاستفادة منه، ومحاولة استعماله كرأس حربة في مقاومة المشروع الفرنسي الإستعماري الإستيطاني، لذلك كان محمد بن أبي شنب يؤكد على قدم تاريخ الجزائر، وعراقة الأمة الجزائرية الضاربة جذورها في التاريخ، هذا التاريخ الخصب المفعم بالبطولات والإنتصارات كانت تنكره فرنسا وتعمل على تشويهه وإلغائه، لذلك قام محمد بن أبي شنب بنشر مقالة سنة 1912 بعنوان "نظرة إجمالية في تاريخ مدينة الجزائر" في كتاب التقويم الجزائري لمحمود كحول المدعو محمد بن دالي (1870-1936)، تناول فيه محمد بن ابي شنب جغرافية الجزائر وبصفة خاصة مدينتي المدية والجزائر، هذه الأخيرة التي ذكر شوارعها الرئيسية كمعلم "فسحة الفرس" وتمثال "الدوق دور ليان" أحد قادة الجيش الفرنسي الذي إستولى على الوطن الجزائري الغالي[28].

الخاتمة : من خلال معالجتنا لهذا الموضوع توصلنا إل النتائج التالية:

- يصعب على الباحث أن يختزل البعد الوطني والإنساني عند محمد بن أبي شنب في مقالة واحدة يتيمة، خاصة وأن الموضوع حساس وخطير ومفيد جدا، إلا أنه في غياب المصادر الأساسية، يبقى هذا الموضوع مجرد محاولة بسيطة مني لاستفزاز القارئ أولا والباحث الأكاديمي ثانيا لتسليط المزيد من الضوء على زاوية مهمة من زوايا شخصية محمد بن أبي شنب لنفض الغبار عنها .

- إن محمد بن أبي شنب من الشخصيات المتعددة المواهب والقدرات والمهارات العقلية والفكرية التي صقلها بالإتصال مع الآخر عن طريق المثاقفة والاحتكاك بالآخرين، فلم يكن عنصرا محايدا وسلبيا في محيطه المتعدد الأدوار، بل كان شخصا فعالا في مجتمعه والمجتمع الدولي وكان يتم هذا الإتصال عن طريق الثقافة الإيجابية الهادئة، فكان محمد بن أبي شنب يأخذ ويعطي، يؤثر ويتأثر بأريحية وإيجابية كبيرة، لثقته في نفسه وإمكانياته التي أبهرت العدو قبل الصديق.

- صحيح أن محمد بن أبي شنب لم يكن حاضرا بقوة في الميدان السياسي وحراكه وعراكه، ولكن صحيح أيضا أنه كان ذو حضور قوي في الميدان الفكري والثقافي والإنساني، فكان يملك قوة رهيبة على المناورة والتخندق ضد الاستعمار الفرنسي ومشروعه الاستيطاني، بحمله لمشروع إحياء التراث لأنه هو الإنطلاقة الحقيقية نحو النهضة ونحو الحركة الإنسانية للتحرر من جميع صنوف الاستبداد والاستعباد، وهكذا صنعت جميع الأمم والشعوب من أجل التحرر والتحرير، ومنها أوربا ذاتها التي ودّعت العصور الوسطى المظلمة وإستقبلت عصر النهضة الأوربية التي حررت الإنسان الأوربي وهو اليوم يعيش إنسانيته بالكامل أو هكذا يبدو له، بعد أن ضحى بالغالي والنفيس من أجل الحصول على جميع حقوقه التي ناضل من أجلها.

- وعلى ما يبدوا أن محمد بن أبي شنب كان قد تأذى من فرنسا التي حاولت في كثير من المواقف أن تستغله لمحاولة تمرير كثير من النقاط السياسية إلى المجتمع الجزائري وحتى الدولي، فأرادت أن تثبت للرأي العام الداخلي والخارجي بأن محمد بن شنب من طينة الذين يؤمرون فيفعلون، لا لشيئ إلا لأنه من صنع يدها كما كان يحلوا لها وتتوهم ما تحاول تحقيقه من وراء هذا الرجل على أساس أنها تتعامل معه بسهولة كبيرة، ظنا منها أنه صار واحدا ممن يضرب به المثل في اللّيونة والاعتدال والتسامح والتحاور والموائمة، لكن في النهاية أدركت فرنسا بأنها كانت مخطئة في حق الرجل الذي كان حيث يجب أن يكون في صف شعبه ووطنه وأمته والإنسانية جمعاء، ولوكان

غير ذلك لما سمي محمد بن أبي شنب، وهو على ما يظهر اسم على مسمى، وبذلك فشلت فرنسا في رهانها الفاشل عندما إعتقدت خطأ بأنها روضت إبن أبي شنب مثلما نجحت في ترويض أصحاب النفوس المريضة التي راهنت على امتيازات ومكافاءات وعطايا فرنسا، ومع ذلك لم تكن فرنسا تثق فيهم، بل لم تكن تحترمهم أصلا.

- وفي الأخير أقول بأن محمد بن أبي شنب لم يكن مجرد دمية أو خاتم تعبث به فرنسا متى شاءت وأينما شاءت رغم أنها حاولت أكثر من مرة، إلا أن محمد بن أبي شنب كان في كل مرة يفاجئها بغير ماتشتهيه، لأنها إعتقدت بأن كل المفرنسين من الجزائريين يمكن تدجينهم واستغلالهم في الظرف والمكان الخطئين.

الهوامش:

(1) صالح خرفي، **محمد السعيد الزاهري**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص139.
(2) نفس المرجع، ص133.---- (3) نفس المرجع، ص139.
(4) عبد الرحمن الجيلالي، **محمد بن ابي شنب حياته وآثاره**، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص130.
(5) Mohamed ben cheneb, « notions de pédagogie musulmane résumé d'éducation et d'instruction enfantine » **revue africaine**, vol,41, 1897,p 282.----(6) ibid., p282.
(7)الخرقة هي تلك الحفلة التي تقدم فيها المأكولات بمناسبة ختم التلميذ للقرآن الكريم في الكتّاب .
(8) ibid., p284
(9) عبد الرحمن الجيلالي المرجع السابق، ص126.---- (10) محمد الصالح الصديق، **أعلام من المغرب العربي،ج1**، موقم للنشر، الجزائر، ص 161.---- (11) نفس المرجع، ص162.---- (12) نفس المرجع، ص163.
(13) محمد السعيد الزاهري، "الجزائر"**الشهاب**،24/12/1927.---- (14) نفس المرجع، ص 133.
(15) محمد الصالح الصديق، المرجع السابق، ص148.--- (16) محمد مجاهد، "محمد بن شنب مثقف مثالي، عن مرحلة سنة الجزائر بفرنسا "،ع3، **مجلة أشير**، مديرية الثقافة لولاية المدية، ع2 سبتمبر 2004، ص 10.
(17) سعيد بن زرقة، "دعوة إلى استثمار مشروع بن شنب العقلاني"، محاضرة ألقاها الكاتب سنة 2001 بالمركز الثقافي بالمدية، **مجلة أشير**،ع 2 سبتمبر 2004، ص16.
(18) Henri Tessier, Nabil. B «conférence sur Mohamed ben cheneb, un homme de foi et de culture », http//dzlit.free.fer/bencheneb.html.(68/06/2004).
كانت محاضرة القس تيسي بعنوان حياة وأعمال العالم ابن شنب، قدم البحث إلى معهد العالم العربي في 2003، في إطار سنة الجزائر في فرنسا جرت المحاضرة في 23 أفريل 2003.
(19)Farid Belkhiri, «l'ima rend homage à Mohamed ben cheneb», http//dzlit.free.fer/bencheneb.html.(68/06/2004).»
وسبق أن نشر هذا المقال بجريدة la tribune، في 7 أكتوبر 2003.
(20) جورج ماسي، " محمد بن شنب "، **مجلة المجمع باللغة العربية بدمشق**، العدد العاشر 1348-1930، ص240.
(21) عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص 23.---- (22) نفس المرجع، ص90.---- (23) نفس المرجع، ص 93.
(24) نفس المرجع، ص 92.---- (25) نفس المرجع، ص112.---- (26) نفس المرجع ص 116.
(27) نفس المرجع، ص116.---- (28) نفس المرجع، ص76.

Abstract:

This paper addresses some of the national and moral and humanitarian values that shaped the character of Dr. Mohamed Ben cheneb, these good qualities are available from the Algerian citizen to his back did not yield to his homeland Algeria and its people Mujahid Islamic and the nation , have lived big and small for his homeland , but for all humanity.

There are many bright aspects of the Algerian Human ignorant about humanitarian Mohamed Ben cheneb, this medial be Ben cheneb has gained from his education and upbringing in the Arab Muslim environment, obtained also through culture that supplied ben cheneb sort through extensive reading and study conscious critic, search scientific and academic configuration positive high- cheneb son achieved through dual culture, Arab and Western, which would and made him a great man among his peers.

To address this issue, we launched the following problem: How much national and humanitarian Mohamed Bencheneb and its impact on the present and the future of Algeria?